

الحرب والصلح

كثير المحوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف الجرمانى هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضات في الصلح وكلفت ألمانية الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية قبل انضمامه الى محاربيها أن يتوسط بين المتقاتلين في الصلح فكتب مذكرة في ذلك ردت عليها انكثرة أشد الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء وعقد الصلح على قاعدة جعل قوة الحق الادبية بدلا من قوة الجيش المادية ، وتحديد التسليح البري والبحري والجوي ، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها الى بعض وعدم أخذ غرامة حرية وجعل التعويض عن الخراب بالتعاون - وقاعدة التحكم الاجباري فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه المذكرة من دول التحالف البريطاني الا حكومة روسية المؤقتة التي سبقت الى اقتراح قاعدة « لاضم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا وافقه عليه سائر الحلفاء أهم ما فيه ان حكومة ألمانية الحاضرة حكومة اتقراطية لا تتق الحلفاء بهودها فيمقدوا مهاصلحا فالاساس الاول لقواعد الصلح عندهم تحويل هذه الحكومة الى ديمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الالمان أنفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش آل هوهنزلرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة ديمقراطية فان الحلفاء هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقي الذي يستريح به البشر من مصائب الحرب . وقد أيدت الحلفاء الرئيس في رده وأثنت جرائدها عليه (١) الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس أنكرت منها تفرقة الرئيس بين الحكومة الألمانية والشعب الألماني اذ جعل وزير الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن الشعب الألماني قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذي أعلنها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن في مقطم ٣ ذي الحجة الماضي (٢١ سبتمبر) ونشرت نبذة من الجرائد الامريكية والانكليزية والفرنسية واليطالية في تأييده في ٤ ذي الحجة

نوابه على جميع الاعتمادات الحربية وقابلت صحافته الفظائع الجرمانية بهتاف شديد
 وتقول ان الظاهر لنا أن الرئيس واسون يرمي بتبرئة الشعب الالماني من تبعة
 الحرب واظهاره الاكتفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى اغرائه بشورة داخلية على
 حكومته المتنازعة بكونها جهة الوحدة لقوتها وقوة احوالها فان تم هذا تنتهي الحرب في
 اقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرمانى فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد
 أرسل وزير امبراطوريتها ردا جميلا الى وزير خارجية الفاتيكان بأمر مولاه الامبراطور
 بدأه بقوله « ان جلالاته ينظر بعين الاحترام والشكر والسرور الى المساعي التي يبذلها
 قداسة البابا لتقصير أجل الحرب وتخفيف وطأتها » الخ وتبجح بأن مولاه مازال نصير
 السلم منذ تبوأ المرش وبأنه يوافق على ان الشروط التي فاضها قداسته من الامور التي
 يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وبأنه « ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على أساس
 اصلاح ذات البين بين الامم وإحلال الاخاء والمساواة محل البغض أكثر من الشعب
 الالماني. (قال) فإذا أدركت الامم المشربة بهذه المبادئ ان الاتفاق خير من الشقاق
 فانها تستطيع أن تسوي جميع المشاكل الحاضرة وتمنع وقوع الحروب في المستقبل
 بإزالة جميع الشعوب ما يلزم لحياتها وسعادتها ، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن
 يبرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم وينفض بالبشرية نهضة كبيرة من الوجهتين
 المعنوية والاقتصادية . وهذه الثقة هي تحملنا على الاعتقاد أن أعدائنا يجدون في
 المبادئ التي أرب عنها قداسة البابا أساسا تهديا للصلح المقبل بشروط تلائم
 روح العدل وموقف أوروبا الحالي » اه بعض ترجمة المقطع (في ٩ ذي الحجة الماضي)
 ورد امبراطور النمسة الجديد (كرلوس) بنفسه ردا مشربا بمتهى التعظيم
 والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي لوحيده ولكنه لم يفه بكامة ما
 تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد لدولة العثمانية على المذكرة بامضاء السلطان محمد رشاد رد
 مشربا بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بالموافقة على القواعد الاساسية التي اقترح ان
 يبني عليها الصلح والاستعداد لدرس الطرق التي تؤدي الى تسوية المشاكل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) « وانا نصرح بذلك وامام نظارتنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارتقائها لاننا رأينا في اقتراح قدامتكم أساسا متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء »

وقال قبل ذلك « لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارتقاء بلادنا . وهذه الغاية الشريفة هي الغاية الوحيدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في بلادنا وعلى حدودنا القومية » اه من ترجمة المقطم التي نشرت في عدد ٨ المحرم - ١٢٥ أكتوبر الماضي

وقد جزم سياسة خلفاء بأن الباب لم يسع هذا السمي الى الصلح الى بتوسل ألمانية والنمسة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والمعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء الميالين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح ، فما من أمة محاربة الا وفيها كثير من محبي السلم ودعاته . أما رأي هؤلاء الاحلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجزء الاول ، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب ساستهم ان من أهم شروط الصلح عندهم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الالزاس واللورين الى فرنسة وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (١٢٢ أكتوبر) بنص خطبة طويلة بليغة من خطب لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ألقاها على ملا عظيم في لندن كان غرضه الاول منها الحث على لاقتصاد في جميع النفقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جو السياسة شروطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « ولكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تفضي الى حرب أشد هولاء من هذه . ان هذه الحرب مخيبة ولكن ما كشفته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولاء وأعظم زعجا ، فلماذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبسر - اذا صح ان هنالك من يلح فيه - ان ينعموا النظر فيما يحتمل وقوعه اذا وقع صلح غير مرض » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

العظيم من هذه الحرب فان المسائل ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التسليم، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات للتعويض من ضرره، وفيها في الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدأ قاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد أو أتيح له الفوز (هتاف) « ان المدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ وترعرع في بروسياء، هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تسلط فيه القوة البيهيمية تسليماً لا ينازع فيه أحد، بدلاً من عالم تسكنه ديمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعري السلم الشريفة، وقد أقبح لهذا الروح هيكل يمد فيه في بتدام^(١) فلا سلم في العالم ولا حرية الا اذا ذلك هذا الهيكل وشتت شمل كهنته وأبسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

«وعلقت الرجاء باننا تتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً ننظر حركة حربية عظيمة من جميع الجهات تتجه الى المدو وتنبئنا هذه الامنية. ولكن تضمض قوة روسيا الحربية الموقت — لا أقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا، اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية، أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب القلمية، ما هو أدل على الخدق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية، ومن براعة الانكباب المهوددة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم، بازاء قذف غواصات الالمان لبواخرهم بالحلم، حتى صار أعظم دول أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية حرباً لهم، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضاً، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات وبالاتباع زهاء ألف وخمسمائة مليون، وهم لا يزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليوناً، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لا يقل عن ثلاثة ملايين، وان الجيش الالمانى المقاتل بالفعل لا يكاد يتجاوز أربعة ملايين. وصرحت مرارا بأن الانكباب وأحلافهم متفوقون على الجرمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضعافاً كثيرة، بل جاء في برقية لمكاتب

المقطم بباريس في ٣٠ مايو الماضي ان الجنرال ز. لندن قال في مقالة له « يظهر ان النمسة وبنامرية وتركية استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رمق ، وان هذه الدول الثلاث ما كانت اثبتت لولا همة المانية ونشاطها ، ولكننا ستلاشى بنفاد قوتها وتطرد الوهن اليها » وقال عن الجيش الالماني « ان عدد فرقه كان في شهر ابريل الماضي متين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسة فلفرنسويين والانكليز التفوق على المانية » اه

نعم انهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم ، وهذه الدولة اغنى دول الارض الآن ، وهي تقرض الحلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الذخائر والاغذية والمواد الضرورية للحرب ماخف به الحمل الثقيل عن عاتق الانكليز . ففي مقطم ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية اقترضت حلفاءها ألفا ومئتي مليون من الجنيئات ، وهي تجود عليهم بالبواخر والفحم والصوف والقطن والزيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الخام التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نحو من ثلاثة ملايين مقاتل هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خبر من كثرة الجيوش ، فتأمل تحليل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤) كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : إذا تقهيم فئة فاثبتوا — الى قوله — ولا تنازها فتفشلوا وتذهب ربحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بحمل الصبر ، من أعظم أسباب الغلب والنصر ، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه ، وبمجموع ذلك فاز المسلمون من قبل فغلبوا الامم الكثيرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ اجيال ، لذلك كانت أخلاقهم ، أنفع لاهل افهم من أموالهم ومقاعهم ، فلولا لم يثبت على حرب الالمان أحد ، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقتال في ذلك ، فحرب الاخلاق بينهما هي الجهاد الاكبر ، وعليه العزل الاخير في النصر والغفر ،